

كيف أصل إلى السماء؟¹

يتجاهل الكثير من الناس مسألة مصيرهم بعد الموت، وتلاحظ الظاهرة هذه حتى في صفوف أولئك الذين يفكرون فيما ينتظرهم بعد الموت.

كانت الممثلة الأمريكية درو بيرري مور في طفولتها قد لعبت دور البطولة في الفيلم الخيالي "ساكن الفضاء الخارجي" وعندما كانت في عمر يناهز الثامنة والعشرين (مواليد 1975) فقد أوصت في حالة موتها قبل قطتها أن تعطى قطتها رمادها لكي تأكله لتواصل بذلك الحياة في قطتها على الأقل. ألا يبعث مثل هذا الجهل وقصر النظر فيما يتعلق بالموت على الفزع؟

أثناء وجود الرب يسوع المسيح على الأرض أقبل إليه الكثير من الناس يلتمسونه لفعل كثير من الأمور التي كانت على الدوام تتعلق بشؤون الحياة في الأرض:

- فعشرة رجال برص سألوه رحمة الشفاء، (لوقا 13:17)
- وأعميان أرادوا أن يبصروا، (متى 9:27)
- وشخص آخر ينشد مساعدته في حل خلاف ميراثي، (لوقا 12:13-14)
- وفريسيون يحاولون الإيقاع به وهم يسألونه فيما إذا كان ينبغي أداء الضريبة لقيصر روما أم لا. (متى 17:22)

ولكن قليلون هم الذين جاءوا إلى الرب يسوع المسيح مستفسرين عن الطريق المؤدي إلى السماء. في أحد الأيام قصده شاب غني يسأله: أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لكي أرث الحياة الأبدية؟ (لوقا 18:18). فأجابه يسوع عما ينبغي أن يعمل ليرث الحياة الأبدية! "بع كل مالك، بكل ما يتعلق قلبك وتعال اتبعني."، غير أنه لم يتبع النصيحة إذ كان غنياً جداً وخسر بذلك دخول السماء.

ولكنه ثمة أشخاص آخرون كانوا لا يعبأون بالبحث عن الحياة الأبدية، ولكن مقابلة الرب يسوع المسيح لقتت أبصارهم إليها، فتمسكوا بها ونهجوا طريق الخلاص.

طلب جابي الضرائب (العشار) زكريا مقابلة يسوع فقط، غير أن ما ناله من جراء ذلك كان أكثر مما ابتغاه، إذ وجد السماء حينما دخل يسوع المسيح داره، بل يجوز القول إنه نال الخلاص عندما كنا يحتسيان الشاي سوية. وهناك أعلن الرب يسوع المسيح "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لوقا 9:19)

كيف يجد المرء الطريق إلى السماء؟

نستنتج مما تقدم الآتي:

- نيل ملكوت السموات أمر يمكن أن يحصل في ساعة محددة، في يوم محدد.. عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة! لكما اليوم الفوز بالحياة الأبدية عند الله الحي،
- لأن نيل ملكوت السموات غير مشروط بأعمال المرء أن يكون قد أداها مسبقاً،
- ونيل ملكوت السموات يمكن أن يحصل بدون أي سابق تحضير.

سيكون مصير كافة جهودنا لدخول السماء الفشل لو تمت هذه دون الانطلاق من وعود الله. تقول كلمات أغنية لمغنية شعبية عن مهرج بعد تقاعده عن عمله في السيرك انه سيدخل السماء لأنه أدخل البهجة والسرور لقلوب الناس لسنوات مديدة. وأما سيدة ثرية كانت قد بنت مأوى للفقراء يسع لعشرين امرأة اشتربت عليهن الصلاة لخلاص نفسها ساعة واحدة يومية لقاء إيوائهن.

ولكن مالذي يدخلنا حقاً إلى السماء؟ قدم الرب يسوع المسيح مثلاً يجيب بكل وضوح على السؤال هذا، ففي (الإنجيل حسب لوقا 16:14 تابع) يتحدث الرب يسوع عن إنسان (يمثل الله في هذا المثل) قام بإعداد وليمة فاخرة (تمثل السماء في هذا المثل) وأرسل في البدء دعوات لأشخاص معينين، غير أن الجميع رد برفض الدعوة: "فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون. قال الأول: إني اشتريت حقلاً.. وقال آخر: إني اشتريت خمسة أزواج بقر" وقال آخر: إني تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء."

¹ Übersetzung des Traktates „Wie komme ich in den Himmel?“ ins Arabische.

وينهي الرب يسوع المسيح المثل بالحكم الذي أصدره المضيف:
"لأنني أقول لكم إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعويين يذوق عشائي" (لوقا 14:24). ويتضح لنا من خلال المثل هذا أن المرء مخير بين دخول السماء أو خسارتها! والأمر الحاسم يتمثل في قبول الدعوة هذه أو رفضها. هل من أمر أكثر سهولة وبساطة من هذه المسألة؟ قطعاً لا. وإن خسر الكثير من الناس دخول السماء فإن هذا لا يتأتى من عدم معرفتهم الطريق المودي إلى سموات الله وإنما بسبب رفضهم دعوة الله لدخول سماواته، حيث الحياة الأبدية.

الأشخاص الثلاثة المنكورون في المثل ليسوا لنا بمثابة قدوة يُحتذى بهم، إذ لم يقبل ولا أي واحد منهم دعوة حضور الوليمة العظيمة. هل هذا يعني أن وليمة العشاء لن تقام؟ كلا، الوليمة ستقام حتماً، لأن رب الدار أمر بإرسال دعوات للوليمة إلى كل مكان. والآن لم تتم الدعوة من خلال بطاقات مذهب و إنما من خلال النداء: تعالوا! وكل من يقبل الدعوة هذه ينال مكاناً مضموناً للمشاركة فيها. ماذا حصل بعدئذ؟ وفدت حشود غفيرة من الناس تلبيةً للدعوة وبعد قرة قام المضيف بتقييم الوضع تقييماً أولياً، فوجد أنه ما تزال هناك أماكن شاغرة، فأوعز لخدمته الانطلاق من جديد وتوجيه دعوات مجدداً.

هنا أود أن أطبق المثل هذا علينا لما أنه ينسحب تملأ على وضعنا الراهن: ما تزال هناك أماكن شاغرة في سماء الله، والله يقول لك: تعال، وخذ مكانك في السماء. كن عاقلاً وحكيماً واحجز مكانك في الأبدية! افعل ذلك اليوم، لا تتمهل!

يقرن الرب يسوع السماء بالوليمة الفاخرة أو بالفرح العظيم لكون السماء أجمل من كل تصور. ونقرأ في (رسالة كورنثوس الأولى 2:9) "بل كما هو مكتوب: ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه." لاشيء، لاشيء إطلاقاً على الأرض يضاهي السماء وبماثلها. إنه جمال فوق كل تصور. ولتنتبه ونحرص لنلا فوآت فرصة دخول سموات الله، فهي ثمينة للغاية. وهناك من فتح لنا أبواب السماء على مصراعها، إنه يسوع المسيح، ابن الله! والفضل في دخول السماء بهذا اليسر إنما يعود ليسوع المسيح، وأمر الدخول مرهون بإرادتنا، ومن يرفض الدعوة فهو يشابه في غبائه غباء الرجال الثلاثة في المثل.

الخلاص يتم بواسطة الرب يسوع المسيح.

نقرأ في سفر أعمال الرسل (2:21) عدداً هماً وأساسياً للعهد الجديد: " ويكون كل من يدعو باسم الرب يسوع يخلص." في حديث الرسول بولس في سجن فيليب مع السجناء قاده إلى الخلاص بقوله: "أمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال 16:31). صحيح أن الرسالة هذه قصيرة ومقضية ولكنها خارقة ونافذة ومغيرة للحياة، فالسجان تاب وسلم حياته للرب يسوع في نفس الليلة.

مما يخلص يسوع المسيح؟ لا بد لنا من أن ندرك بأن المسيح يخلصنا من الطريق المودية إلى الهلاك الأبدي.. الطريق المودية إلى الجحيم. نقرأ في الكتاب المقدس أن السماء وجهنم مقران أبديان، وفي حين أن السماء رائعة فإن جهنم بائسة وأن الإنسان حسب اختياره سيبقى في السماء أو جهنم إلى أبد الأبد، وليس هناك من مأوى ثالث. وبعد فوات خمس دقائق على الموت فإنه ليس من إنسان يقدر أن يدعي بأن الموت هو النهاية الأبدية وبه قد انتهى كل شيء. مصيرنا الأبدي يتعلّق بشخص واحد، ألا وهو شخص يسوع المسيح الفِصل وبعلاقتنا الشخصية معه.

في زيارة إلى بولونيا كنت ألقى فيها سلسلة من المحاضرات قمت بزيارة لمعسكر الاعتقال النازي أوشفيتس، الذي كان ساحة لأبشع أحداث وحشية خلال العهد النازي. ففي الفترة من 1942 و 1944 أبيد أكثر من 1,6 مليون إنسان معظمهم من اليهود بواسطة الغاز، ليتم إحراقهم فيما بعد. ويطلق اسم "جهنم أوشفيتس" على ذلك. كنت أفكر في هذه العبارة عندما كانت المرشدة تعرّفنا بقاعة كانت تستخدم لإبادة 600 شخص دفعة واحدة. كان ذلك حقاً مبعثاً على الرعب، ولكن أيعقل أن هذه كانت جهنم فعلاً؟

استطعنا كمجموعة زائرة مشاهدة حجرات الغاز بسبب توقف الإبادة البشعة فيها منذ عام 1944، إذ فتحت الحجر هذه للزائرين وليس فيها من يعذب ويخفق بعد، فحجرات غاز أوشفيتس مؤقتة وليست على غرار الجحيم الأبدي الذي يحدثنا الكتاب المقدس عنه.

في قاعة دخول المعرض الحالي في أوشفيتس لفتت نظري صورة منحوتة على الحائط تصور الصليب والمصلوب معلّقاً عليه. كان أحد السجناء قد قام بنحتها بواسطة مسمار خلال اعتقاله، معبراً بذلك عن رجائه وإيمانه في المسيح المصلوب. لقي الفنان هذا حنقه في حجرة الغاز ولكنه كان على صلة بالرب يسوع المسيح. صحيح أنه مات في مكان مرعب، ولكن السماء كانت قد فتحت مصراعها لاستقباله. وأما جهنم التي يحذرنا منها الرب يسوع (مثلاً متى 13:17؛ متى 5: 29-30 متى 18:8). فهي أبدية ولا مفر منها لمن آل من الناس إليها. ولا توجد أية فرصة لزيارة جهنم كونها أبدية وقائمة على خلاف جهنم أوشفيتس.

وحتى أن سماء الله أبدية وهي المكان التي يريد الله أن يأتي بنا إليها. ولذلك اقبل دعوة الله إلى سماءه وادعو باسم الرب يسوع المسيح واحجز مكانك في سمانه! سألتني سيدة بانفعال بعد إصغائها لمحاضرة ألقيتها: "أستطيع أحد أن يحجز مكاناً له في السماء؟ أهي مكتب سياحي!! وافقتها على رأيها: "من لا يحجز لن يبلغ هدفه، وإن كان المرء يريد السفر إلى جزر الهواي فلا بد له من شراء تذكرة طائرة سارية المفعول." فإذ بها تعلق: "ولكن بطاقة الطائرة ليست مجاناً ولا بد من دفع ثمنها" فأجبتها قائلاً: "فعلاً، بطاقة دخول السماء ليست أيضاً بالمجان ولا بد من دفع ثمنها ولكنها باهظة الثمن إلى حد يعجز كل إنسان عن دفعه، وإن خطايانا هي التي تحول دون ذلك. الله لا يقبل البتة أية خطيئة في سمئه، ومن يريد دخول السماء ويقضي الأبدية هناك، فلا مناص له من أن يتحرر من خطاياه أولاً. وإن التحرير من الخطايا هذه لم يكن ممكناً سوى من قبل شخص معصوم عن الخطيئة، وإن الشخص هذا هو يسوع المسيح، وهو وحده يتمتع بهذه القدرة التي مكنته من تسديد الثمن بسفك دمه الكريم وموته على الصليب."

ماذا ينبغي أن أفعل الآن لكي أدخل السماء؟ الله يوجه دعوته الخلاصية لنا أيضاً، وهناك الكثير من الآيات الكتابية التي تناشدنا للاستجابة لدعاء الرب لنا وقبول الخلاص الذي أعده لنا:

- "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق... (لوقا 13:24)
- "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (متى 17:4)
- "ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه." (متى 7:13 و 14)
- "أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت أيضاً" (1 تيموثاوس 6:12)
- "أمن بلرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك." (أعمال 16:31)

هذه جميعها دعوات ملحة تهز الكيان وتوقظ الضمير، ويستشف المرء من هذه النصوص الكتابية أن مسألة الخلاص مسألة جدية وحاسمة وملحة. وإن تلبية الدعوة لدخول السماء ليست إلا تصرفاً منطقياً وحكيماً. كما أن تلبية الدعوة السماوية يمكن أن تتم بتوجيه صلاة شخصية بالصياغة التالية:

"أيها الرب يسوع المسيح: قرأت اليوم بأنك الطريق الوحيد المؤدي إلى السماء، حيث الحياة الأبدية، وأنا أريد أن أكون معك في السماء، فخلصني من جهنم التي استحقها بسبب كثرة ذنوبي ومعاصي، فأنت بمحبتك العظيمة قبلت أن تموت لأجلي أيضاً على الصليب ودفعت ثمن عقوبة خطاياي التي هي ماثلة منذ صباي أمامك، فأنت تعرف كل آثامي، سواء كنت أتذكرها أم لا. أنت تعرف كل خلجات قلبي، فحياتي مثل كتاب مفتوح أمامك، ولا أستطيع دخول سماءك وأنا كما عليه الآن: أرجوك سامحني على خطاياي التي تؤسفني جداً. أرجوك أن تدخل حياتي وتجددني، وساعدني كيما أخلع مالا يرضيك من التصرفات وهبني عادات تنال رضاك. افتح ذهني لأفهم كلامك في الكتاب المقدس، ساعدني لكي أفهم قولك لي وهبني قلباً نقياً خاضعاً لك لأفعل ما يسرك.

كن من الآن فصاعداً رباً وسيداً على حياتي. أريد أن اتبعك فارشدني إلى الطريق الذي تريدني أن أسلكه في كافة شؤون حياتي. أشكرك لأنك استجبت لصلاتي ولأني قد أصبحت الآن ابناً لك سيكون معك يوماً ما في السماء. آمين."

البروفيسور الدكتور المهندس فيرنر جيت
Prof. Dr.-Ing. Werner Gitt

تعريب: نمرود يعقوب Namroud Yahkup

تصميم الغلاف: اليس كريستيان Elise Christian